WERT
BOOKBINDING
Grantville, Pa.
SEPT.-OCT. 1992
We're Quality Bound

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

سلسلة الدروس الدينية في العقائد الاسلامية

١

معرفة الله

استاذ ناصر مكارم الشيرازي

جعفر صادق الخليلي

Makārim Shīrāzī

سلسلة الدروس الدينية في العقائد الاسلامية

القسم الاول

معرفة الله

مدرسة الامام الخميني
مؤسسة البعثة

(Arab)
BP166
.M342
1986
gism 1

سلسلة الدروس الدينية فى العقائد الاسلامية

القسم الاول : معـرفة اللّه

الاستاذ ناصر مكارم الشيرازي

جعفر صـادق الخليلي

قسم الاعلام الخارجي

الطبعة الاولى : ١٤٠٧هـ

ايران ـ طهران ـ شارع سمية ـ موسسة البعثة

تلفن ٨٢١١٥٩

مقدمة الناشر

ان الاصول العقائدية في البحوث التي تهم الجميع تتميز بخصوصية خاصة ، اذ ان لكل امرئ ، بموجب الادلة العقلية والفطرية، ميوله النفسية والمعنوية نحو هذا الاتجاه لذلك يكون من الضروري طرحها على المستوى العام بين الناس .

ثم ان المجتمعات الاسلامية التي تتمسك باصول عقائدها ،قد تواجه الكثير من المشكلات اذا ماجوبهت باصغر الشكوك والشبهات وذلك لعدم تأصل تلك العقائد في نفوسها تأصلا يستند على الاستدلال المنطقي في اثباتها .

اننا نؤمن بان اصول العقائد الاسلامية يجب ان تنشر

بمختلف لغات العالم وعلى مختلف الاصعدة والمستويات .

ان هذه مجموعة العقائد الخمس التي جاد بها قلم آية الله ناصر مكارم الشيرازي تمتاز بتلك الخصوصية الخاصة فهي مع استنادها على الاستدلال العقلي ،تتميز ببساطة سهلة تجعلها في متناول عامة الناس وخاصتهم .

اننا نتوجه الى الله بالشكر على ان وفقنا لتقديم الترجمة العربية لهذه الدورة العقائدية الى جيلنا الناطق بالعربية .

ونود بالمناسبة ان نحيط القارىء علما بان ترجمة هذه الدورة الى الانجليزية قد خرجت من المطبعة ،والعمل جار في الوقت نفسه لطبعها باللغات التركية الاسطنبولية والفرنسية والاسبانية وبالاوردية ، بعون الله تعالى ،راجين منه مزيدا من التوفيق .

قسم الاعلام الخارجي في مؤسسة البعثة

الدرس الاول

البحث عن الله

لماذا نبحث ونفكر لمعرفة خالق الكون ؟

بمعرفة الله

١ـ حب الاستطلاع والتعرف على عالم الوجود كامن في اعماقنا كلنا .

اننا نريد ان نعرف حقاً : هل هذه السماء الرفيعة بنجومها الجميلة ، وهل هذه الارض المنبسطة بمناظرها الاخّاذة ، وهل هذه الكائنات المتنوعة ،والطيور الجميلة ،والاسماك الملونة في البحار ،والزهور ، والبراعم والنباتات،وانواع الاشجار السامقة، هل هي كلها قد وجدت في هذا الكون لوحدها ،أم هذه الصور العجيبة قد رسمت بيد ماهرة قادرة صانعة ؟

ثم اننا اذا تجاوزنا ذلك كله ، فان الاسئلة الاولى التي تراود خواطرنا في الحياة هي :

من اين جئنا ؟ اين نحن ؟ والى اين نحن سائرون ؟

ماأعظم سعادتنا لو اننا عرفنا الاجابة على هذه الاسئلة!

أي ان نعرف كيف بدأت حياتنا ؟ الى اين سيكون مصيرنا في النهاية ؟ ماالذي ينبغي علينا ان نفعله الآن ؟

ان روح حب الاستطلاع فينا تفرض علينا ان لانجلس دون حراك حتى نعثر على اجوبة هذه الاسئلة .

قد يتفق ان يصاب احدهم في حادث سيّارة ويغمى عليه ، فيؤخذ الى المستشفى لمعالجته . وعندما يفيق من اغماءته ويتحسن حاله ، يكون اول سؤال يطرحه على من حوله هو : اين انا ؟ لماذا جيء بي الى هنا ؟ متى اخرج؟ وهذا يعني ان الانسان لايستطيع ان يلزم السكوت نحو امثال هذه الاسئلة .

وعليه ، فان اول مايحملنا على البحث عن اللّه ومعرفة خالق عالم الوجود هو روح حب الاستطلاع المتعطشة فينا .

٢- عرفان الجميل : لنفرض انك قد دُعيت الى وليمة فخمة، هيأوالك فيها كل اسباب الضيافة الكريمة والترحيب بك وراحتك . ولكن بما انك قد حضرت الوليمة بصحبة اخيك الاكبر الذي دعاك اليها ، فانك لاتعرف مضيفك حق المعرفة . لذلك فانت عندما تجد كل هذه الحفاوة والتكريم من صاحب البيت ، يكون جل همك ان تتعرف عليه لكي تقدم له مايستحقه من آيات الشكر اعترافاً بجميله .

كذلك هي حالنا عندما ننظر الى مائدة الخلق الواسعة حيث نجد عليها مختلف اصناف النعم وقد وضعت تحت تصرفنا : عيون ناظرة ،وآذان سامعة ،وعقول ذكية ،وقوى جسمانية ونفسانية متنوعة ،ومختلف سبل العيش ،ورزق طيب وطاهر ، كلها قد عرضت على هذه المائدة الفسيحة الشاسعة ،فيتجه فكرنا ،دون اختيار، الى ضرورة معرفة واهب كل هذه النعم ، لكي نقدم له فروض الشكر، وان لم يكن بحاجة الى شيء من شكرنا ، ونحن مالم نفعل ذلك نظل

نحس بالقلق وباننا نفتقر الى شيء ما . وهذا محفز آخر يدفعنا للبحث عن الله ومعرفته .

٣ـ حساب الربح والخسارة في هذا البحث : افرض انك في سفرك قد بلغت مفرق طرق اربعة حيث تسمع الناس يتنادون ان : لا تمكثوا في هذا المكان ، ففيه اخطار كبيرة . الا ان كل فريق يدعوك الى سلوك احد تلك الطرق ، فهذا يقول : افضل الطرق هذا الذي يتجه الى الشرق . ويقول فريق آخر : بل الطريق المؤدي الى الغرب اكثر اطمئناناً . وفريق ثالث يدعوك الى طريق وسط بين الطريقين ، قائلا انه الطريق الوحيد الذي ينجيك من المخاطر ويوصلك الى حيث الأمن والأمان وكل انواع السعادة .

فهل يجوز لنا ان نسلك احد تلك السبل دون تمعّن اودراسة؟ أم هل يرتضي لنا العقل ان نمكث هناك دون ان نختار واحداً من تلك الطرق ؟ طبعاً لا .

ان العقل ينصحنا بان نبادر فوراً الى دراسة الوضع وتمحيص اقوال كل فريق بدقة ، فاذا وجدنا في اقوال احد الافرقة دلائل من الصدق والصحة مقنعة اخذنا بها واتبعنا الطريق الذى يدعو اليه ذلك الفريق بكل اطمئنان وثقة .

هكذا هي حالنا في هذه الدنيا ، حيث نجد مختلف المذاهب والاتجاهات ، يدعونا كل منها اليه . ولكن لما كانت سعادتنا وتعاستنا ، وتقدمنا وتأخرنا ، منوطة بدراسة هذه الاتجاهات واختيار افضلها ، فاننا لانجد بداً من ان نفكر في الامر ، لكي نختار الطريق الذى يؤدي بنا الى التقدم والتكامل ، ونتجنب الطريق الذي يوصلنا الى منزلق التعاسة والفساد والشقاء .

وهذا دافع آخر يدفعنا لإمعان الفكر في خالق عالم الوجود . يقول القرآن الكريم :

" فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه " .

(سورة الزمر :١٧، ١٨)

* * *

فكّر وأجب :

١- هل سبق لك ان فكرت بجد في اللّه ومعرفته ، غير ما سمعته من والديك ؟

٢- أتستطيع ان تذكر الفرق بين البحث عن اللّه ومعرفة اللّه ؟

٣- هل شعرت بنوع من اللذة الروحية العميقة وانت تدعو اللّه وتناجيه ؟

.....

الدرس الثاني

معرفة الله في حياتنا

١ــ معرفة الله وتقدم العلوم

لنفرض ان صديقاً قدم عليك من سفر وجلب لك معه كتاباً هدية، وقال لك انه كتاب ثمين لأن مؤلفه من كبار العلماء، واسع الاطلاع، ضليع في موضوعه ويعتبر استاذاً نابغة .

وبناء على ذلك فانك لاتقرأ الكتاب قراءة عابرة، بل بالعكس، تحاول ان تكون دقيقاً في قراءتك جمل الكتاب وتعبيراته وحتى كلماته، واذا لم تفهم عبارة من عباراته فانك تقضي الساعات، وربما الايام المتوالية، تعود الى تلك العبارة كلما واتتك الفرصة لعلك تدرك معناها، وذلك لانك تعرف ان المؤلف ليس شخصاً عادياً، بل هو عالم كبير لايكتب كلمة إلّا بحساب .

ولكن اذا كانوا، على العكس من ذلك، قالوا لك ان الكتاب وان يكن جميل المظهر، فان مؤلفه رجل قليل المعرفة، ضعيف العلمية ولايعتمد على اقواله . لاشك انك عندئذ قد لاتلقي على الكتاب سوى نظرة عابرة، واذا طالعتك جملة غير مفهومة قلت: هذا دليل جهل المؤلف، وان الكتاب لايستحق الوقت الذي يقضيه

المرء في مطالعته .

عالم الوجود هذا اشبه بكتاب ضخم ،كل كائن فيه يمثل كلمة اوجملة فيه . فمن حيث وجهة نظر الانسان المؤمن باللّه ،تعتبر كل ذرة في هذا الكون جديرة بالدرس . ان المؤمن ،وهو في فيض نور عبادة اللّه ،يباشر بدراسة اسرار الخليقة بكل دقة وتفحص (وهذا مايساعد على تقدم العلوم الانسانية) ، وذلك لانه يعلم ان خالق هذه الاجهزة والنظُم لايدانيه احد في علمه وقدرته ،وان لكل عمل من اعماله حكمة وفلسفة ،لذلك فانه يكون أدق في درسه وأعمق في بحثه ليكون أفضل في درك اسرارها .

أما الانسان المادي فلايملك دافعاً يدفعه لدراسة اسرار الخليقة لانه يعتبر خالقها هوالطبيعة العمياء . اما العلماء الماديون الذين نرى بعضهم في صفوف المخترعين ومكتشفي العلوم فانهم غالباً مايعترفون بوجود اللّه ،وان اطلقوا عليه اسم "الطبيعة" التي يرون في عملها " نظاماً " و " حساباً " و " تخطيطاً ".

اذن ،عبادة اللّه وسيلة من وسائل تقدم العلوم .

٢ــ معرفة الله والسعي والأمل:

عندما تظهر الحوادث الصعبة والمعقدة في حياة الانسان ، وتبدو الابواب وكأنها قد اغلقت في وجهه من جميع الجوانب ويحس بضعفه ووحدته في مواجهة المشكلات ،يسرع ايمانه باللّه الى عونه ويرفع من قوته المعنوية .

ان المؤمنين باللّه لايرون انفسهم وحيدين وضعفاء ، ولاينتابهم اليأس ،ذلك لانهم يؤمنون بان قدرة اللّه اكبر من كل مشكلة ، وان كل شيء عنده سهل يسير .

انهم يتدرعون بلطف اللّه وحمايته وعونه ،وينهضون لمقارعة الخطوب والصعاب ،مستفيدين من كل قواهم ،يدفعهم حب

الله والأمل فيه الى الاستمرار في بذل المساعي ، ويتغلبون على الصعاب والمشاكل .

اجل ،فالايمان بالله سند عظيم للانسان .

الايمان بالله مدعاة للثبات والشجاعة .

الايمان بالله يحيي في القلوب نور الأمل دائما

ولهذا لن يرتكب المؤمن جريمة الانتحار ، لان الاقدام على قتل النفس انما هودليل على اليأس والقنوط النابعين من الاحساس بالهزيمة . المؤمن لايبأس ولاينهزم.

٣ــ معرفة الله والشعور بالمسؤولية

ثمة اطباء اذا راجعهم مرضى فقراء فانهم فضلا عن عدم مطالبتهم اياهم باجرة التطبيب ،يعطونهم ثمن الدواء ايضا ، بل انهم ان احسوا بان مريضهم في حالة خطرة قضوا الليل ساهرين الى جانبه في بيته المتواضع . هولاء اناس يخشون الله ويؤمنون به .

غير ان هناك اطباء آخرين لايمكن ان يتقدمواخطوة واحدة لمساعدة مريض قبل ان يتقاضوا اجرهم ، وذلك لان ايمانهم ضعيف .

ان الانسان المؤمن مهما تكن حرفته يكن شاعراً بالمسؤولية، ويعرف واجبه ،يعمل الصالح ويكون متسامحا ،يحس دائماً ان هناك في داخله شرطياً يراقب اعماله .

اما الانسان غير المؤمن فانه شخص انانى ، عنيد ، خطر، لايتحمل اية مسؤولية ،ولايرى غضاضة في ظلم الآخرين والاعتداء على حقوقهم ،وقلما يقوم بأعمال صالحة .

٤ــ معرفة الله والاطمئنان

يقول علماء النفس ان الامراض النفسية منتشرة في ايامنا هذه اكثر مما كانت في السابق .

ويقولون ان احد عوامل هذه الامراض هو القلق - القلق من حوادث المستقبل ، القلق من الموت ، القلق من الحرب ، القلق من الفقر ، والقلق من الاخفاق .

يضيف هولاء الى ذلك قولهم : ان مما يساعد على ازالة القلق من روح الانسان هو الايمان باللّه ، فكلما سعت عوامل القلق للتطرق الى نفس المؤمن ابعدها الايمان باللّه عنه - ذلك اللّه الرحيم ، الرزاق ، العالم باحوال عباده ، الذي يعينهم كلما اتجهوا اليه في طلب العون ، ويزيح عنهم دواعي القلق والخوف .

ولهذا نجد المؤمن الحق مطمئن النفس ، لامكان للقلق في نفسه . وبما ان المؤمن يعمل في سبيل اللّه ، فانه ان واجه ضررا يتوجه الى اللّه يطلب منه دفع الضرر ، وهو لاتفارق الابتسامة شفتيه حتى في ساحة الوغى .

قال اللّه في كتابه الكريم :

" الذين آمنوا ولم يلبسوا ايمانهم بظلم اولئك لهم الامن " .

(سورة الانعام : الاية ٨٢)

فكّر وأجب

١- أتعرف حكاية من تاريخ الماضين تبين مظاهر الايمان وآثاره التي ذكرناها ؟

٢- أتعلم لماذا نجد اشخاصاً يزعمون انهم يؤمنون باللّه ، ومع ذلك نراهم يعيدين عن الاخلاق الحسنة ، ولانرى فيهم أياً من الآثار الاربعة المذكورة ؟

الدرس الثالث

معرفة الله بطريقين مؤكدين

لقد كتبت كتب كثيرة منذ اقدم الازمنة حتى اليوم وجرت بحوث ومساجلات عديدة بين العلماء والمفكرين حول معرفة اللّه.

كل فريق من هؤلاء اختار للوصول الى هذه الحقيقة طريقاً خاصاً غير ان افضل الطرق واسرعها في ايصالنا الى مبدأ عالم الوجود طريقان اثنان :

ا ـ طريق من الداخل (اقرب الطرق)

ب ـ طريق من الخارج (اوضح الطرق)

نبدأ اولاً بالمرور في اعماقنا لكي نسمع نداء التوحيد من داخلنا وفي المرحلة التالية نسيح في عالم الخليقة الشاسع لنطالع آيات اللّه في سيماء كل الموجودات وفي قلب كل الذرات. ان في كل من هذين الطريقين بحوثاً مسهبة، الا اننا سوف نسعى في مقالة موجزة الى ان نبحث كلا من هذين الطريقين بحثا مجملاً.

طريق من الداخل:

دعونا نفكر في المواضيع التالية :

١- يقول العلماء :ان اى شخص ،مهما يكن عنصره وطبقته، اذا ترك وشأنه،دون تعليم اوارشاد،ودون ان يسمع آراء كلا المؤمنين والملحدين ،فانه بذاته يتجه نحو قوة قادرة قاهرة ترتفع فوق المادة وتحكم الكون بأسره .

ان هذا الانسان يحس ان في اعماق قلبه وزوايا نفسه نداء لطيفاً مفعماً بالمحبة والرحمة ، ولكنه في الوقت نفسه مكين وثابت ، يدعوه الى المبدأ العظيم والقادر العليم الذي ندعوه : الله .

ذلك هونداء الفطرة الطاهرة!

٢- ولكن قد ينجرف هذا الشخص مع التيار المادي وحركة الحياة اليومية الزاخرة بالبهرجة والزينة ،فينشغل بها موقتا عن سماع ذلك النداء.ولكنه عندما يجد نفسه تواجه الشدائد والمشكلات والمحن ،وعندما تهاجمه الحوادث الطبيعية المرعبة ،كالسيول والزلازل والفيضانات ولحظات القلق في طائرة تتلاعب بها العواصف نعم ، عندما تقصر يده عن الوصول الى عون مادي ولايجد ملجأ يلوذبه ، يقوى هذا النداء في داخله ويحس ان في كيانه قوة تجتذبه نحوها ،قوة هي فوق كل القوى ،وقدرة غامضة يسهل عليها حل جميع المشكلات بيسر وبساطة .

قليل جداً من الناس من لايتجه هذا الاتجاه عند مواجهة الازمات والشدائد ،ولايتذكر الله دون اختيار . هذا الامر هو الذي يدلنا على مدى قربنا منه ،ومدى قربه منا ، بل انه في

أرواحنا وضمائرنا.

ان نداء الفطرة موجود دائماً في وجدان الانسان ،ولكنه يقوى في هذه اللحظات .

* * *

٣- يكشف لنا التاريخ ان رجالا من ذوي السلطة والمقدرة كانوا في الاوقات العادية يأنفون حتى من ذكر اسم الله ،ولكنهم اذا ماأحسوا بان قواعد سلطتهم اخذت تهوي ،وان قصور وجودهم بدأت تنهار ،راحوا يمدون يد التوسل الى هذا المبدأ العظيم، لان نداء الفطرة عاد يرن في اسماعهم بجلاء من جديد .

يقول التاريخ : عندما شاهد فرعون نفسه انه يكاد يغرق في الأمواج المتلاطمة،وان هذا الماء الذى كان سبب احياء بلاده واساس قوته المادية ، قد اصدر الآن حكم الموت عليه ، وانه عاجز حتى عن دفع امواج هذا الماء ،وان يده قاصرة عن ان تنفعه في شيء،اخذ يصرخ عالياً : الآن اعترف ان ليس ثمة معبود سوى إله موسى العظيم. لقد صدرت هذه الصرخة ،في الحقيقة ،من فطرته الباطنية.ولايقتصر هذا على فرعون ،فكل من يمر بظروف مماثلة يسمع هذا النداء نفسه.

* * *

٤- انت نفسك اذا رجعت الى اعماق نفسك وجدت ان هناك نوراً يتلألأ في باطنك ويدعوك الى الله . ولعلك قد صادفت في حياتك بعض الازمات الشديدة والطرق المسدودة بحيث انك يئست من العثور على الحل والعلاج . لاشك انك في مثل تلك الحالات قد خطرت لك حقيقة وجود قوة قادرة في عالم الوجود تستطيع ان تحل مشكلتك بكل سهولة .

في تلك اللحظات تشعر انك قد احتواك أمل يمازجه في داخلك حب ذلك المبدأ العظيم ،وان ذلك الأمل قد ازاح عن قلبك كل سحب اليأس السود القاتمة .

نعم ، هذا هو اقصر الطرق التي تبدأ من داخل المرء للوصول الى اللّه ، بارئ عالم الوجود القدير .

سؤال واحد:

قد يخطر لاحدكم ان يسأل نفسه هذا السوال :أ لايحتمل ان يكون لما تلقيته من المحيط ومن والدي أثر في ان اتوجه هذا الاتجاه في الظروف العصيبة ،فأرفع يدي الى اللّه اطلب عونه ؟

ان لك الحق في ان يخطر لك هذا السؤال ، ولدينا الجواب المقنع الذي سنورده في الدرس التالي .

يقول اللّه في كتابه الكريم :

" فاذا ركبوا في الفلك دعوا اللّه مخلصين له الدين فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون " .

(سورة العنكبوت،الاية ٦٥)

فكر وأجب

١ـ حاول ان تحفظ هذه الآية المذكورة في اعلاه برقمها وسورتها وتفسيرها لكي تتعرف على لغة القرآن تدريجياً .

٢ـ هل اتفق لك ان واجهت حادثا معقداً صعباً بحيث انك لم تجد حولك من تستعين به سوى الأمل في لطف اللّه تعالى ؟اشرح ذلك في مقالة أوفي خطاب قصير .

٣ـ لماذا نعتبر هذا اقصر الطرق ؟

الدرس الرابع

جواب سؤال مهم

السؤال:

ادركنا في الدرس السابق اننا نسمع نداء التوحيد وعبادة اللّه دائماً من داخلنا ، وان هذا النداء يقوى ويشتد عند مواجهة المشكلات والصعاب ،واننا عندئذ نتذكر اللّه دون اختيار ونستعين بلطفه ومحبته اللانهائيين .

هنا قد يسأل سائل ان هذا الاحساس الداخلي الذي نصفه بأنه فطري ،ألايحتمل ان يكون نتيجة لما يوحيه الينا المحيط الاجتماعي ومانتلقاه في المدرسة من المعلمين وفي البيت من الابوين فاصبح امره عادة مألوفة ؟

الجواب:

جواب هذا السؤال يتبين بوضوح بالانتباه الى مقدمة

قصيرة . ان العادات والرسوم امور طارئة متغيرة وغير ثابتة. أي إننا لايمكن ان نعثر على عادة من العادات ظلت سارية بين البشر على امتداد التاريخ . ان العادة السائدة اليوم قد تتغير غداً ، كما ان عادات قوم ورسومهم قد لاتكون كذلك بين اقوام آخرين .

وبناء على ذلك ، اذا رأينا امراً موجوداً عند كل الاقوام والملل وفي كل عصر وزمان ، بدون استثناء ، ادركنا انه لابد ان تكون له جذور فطرية وانه داخل ضمن تكوين الانسان ونسيجه .

من ذلك مثلا تعلق الام بوليدها ، فهذا لايمكن ان يكون نتيجة الايحاء او التلقين ، ولاكونه عادة من العادات ، ذلك لاننا لايمكن ان نعثر بين قوم من الاقوام ولاملة من الملل ، ولافي اي عصر اوزمان ، على ام تجفو وليدها ولاتحبه .

بديهي ان هناك استثناءات شاذة نجد فيها اماً تقضي على وليدها بسبب بعض الامراض النفسانية ، او ان نرى أباً من العصر الجاهلي يئد ابنته متاثراً بمعتقدات خرافية غلط . ولكن هذه حالات نادرة سريعة الزوال ، انقوضت من بين الناس وعادت الحالة الى وضعها الطبيعي من حب الابوين لاطفالهما .

* * *

بعد هذه المقدمة سنلقي نظرة على قضية عبادة الله بين اناس هذا العصر واناس الماضي :

(بالنظر لكون هذا الدرس على شيء من التعقيد فيرجى ملاحظة ذلك) .

١ـ يؤكد علماء علم الاجتماع والمؤرخون المشهورون انه مامن زمان مرّ بالبشر دون ان يسودهم ضرب من الدين او الايمان بشيء ، فقد كان الدين موجودا في كل عصر وزمان . وهذا دليل بيّن

على ان عبادة الله تنبع من فطرة الانسان وضميره ، لادخل للتلقين والرسوم والعادات فيها ، اذ لو كان لها أي أثر في ايجاد الدين لما كان عاماً ولا خالداً .

هنالك قرائن تدل على ان انسان ماقبل التاريخ كان يدين بنوع من الدين (عصور ماقبل التاريخ تطلق على الازمنة التي مرت على الانسان قبل اختراع الكتابة ،يوم لم يستطع ان يترك وراءه كتابات تدل عليه) .

بديهي ان الانسان القديم البدائي لم يكن قادراً على تصور الله وجوداً فوق الطبيعة ، لذلك كان يبحث عنه بين الكائنات الطبيعية ،وراح يصطنع لنفسه آلهة اصناماً من بين الكائنات الطبيعية ، ولكن الانسان بتقدمه الفكرى استطاع بالتدريج ان يعثر على الحق وان يشيح بوجهه عن الاصنام وهي اشياء مادية ، ليتوجه الى ماوراء هذا العالم المادي ويتعرف على قدرة الله العظيمة .

* * *

٢- يصرح بعض علماء النفس بان لروح الانسان ابعادا اربعة اواجاسيس اربعة :

ا- حس المعرفة :وهو الذي يحث الانسان على طلب العلم ويثير في النفس التعطش الى التعلم ، سواء أكان ذلك ذا نفع مادي له أم لم يكن .

ب - حس الصلاح : وهو مصدر الاخلاق الانسانية الصالحة في البشر .

ج - حس الجمال : وهو منشأ ظهور الشعر والادب والفن بمعانيها الحقيقية .

د - الحس الديني : وهو الذى يدعو الانسان الى معرفة

الله وإطاعة اوامره . وعلى هذا فان الحس الديني ذو جذور أصيلة في الانسان ، أي إنه لم يفارقه لحظة ولن يفارقه ابدا .

* * *

٣ـ سوف نلاحظ في البحوث القادمة ان معظم الماديين والملحدين يعترفون بشكل ما بوجود الله ، على الرغم من انهم يمتنعون عن ذكر اسمه الصريح ، وانما يطلقون عليه اسم الطبيعة او اسماء اخرى ، ولكنهم يعزون الى الطبيعة صفات اشبه بصفات الله تعالى .

يقولون مثلا : اذا كانت الطبيعة قد وهبت الانسان كليتين فذلك لأنها تعلم احتمال اصابة التلف احداهما ، فتقوم الاخرى باداء وظيفتها الحياتية ، وماالى ذلك من الاقوال . فهل ينسجم هذا القول مع طبيعة عمياء ، أم انه ينسجم مع إله يتصف بعلم لانهاية له ، وان اطلقوا عليه اسم الطبيعة ؟

* * *

نستنتج مما مربنا في هذا البحث الامور التالية :

حب الله كان فينا دائماً وسيكون فينا دائماً ايضا .

الايمان بالله شعلة خالدة تدفئ قلب الانسان وروحه .

لكي نعرف الله لسنا مضطرين للسير مسافات طويلة ، بل علينا ان ننظر في اعماقنا لنجد الايمان به هناك .

يقول القرآن الكريم :

" ونحن اقرب اليه من حبل الوريد " .
(سورة ق ، الآية ١٦)

* * *

فكر وأجب

١ـ هات أمثلة على العادات ، وأمثلة على الفطرة .
٢ـ لماذا كان الجهلاء يعبدون الاصنام ؟
٣ـ لماذا يطلق الماديون اسم " الطبيعة " على الله ؟

.....

الدرس الخامس

قصة واقعية

قلنا ان الذين ينكرون اللّه بألسنتهم ،انما هم يؤمنون باللّه في اعماقهم . لاشك ان نجاحات الانسان وانتصاراته تثير في نفسه الغرور ، وخاصة اذا كان هذا الانسان ضيق الافق.وهذا الغرور يؤدي به الى النسيان ،بحيث انه احياناً ينسى حتى نظرياته.ولكن عندما تتوالى عليه ضربات الحوادث في الحياة ،وتعصف به رياح المشكلات من كل جانب ،تنزاح عن عينيه استار الغرور ،وتظهر فيه فطرة التوحيد .

ان في التاريخ نماذج كثيرة لمثل هذا الانسان . وفيما يلي نموذج لواحد من هولاء :

كان هناك وزير قدير واسع السلطة ،امسك بيديه كل ازمة القدرة ،ولم يكن هناك من يستطيع معارضته .

دخل هذا الوزير يوماً الى مجلس ضم جمعاً من رجال الدين العلماء ،فالتفت اليهم وقال بشيء كثير من الغرور : الى متى

تظلون تقولون ان للعالم رباً ؟ ان عندي الف دليل يدحض هذا القول.

واذ كان العلماء الحاضرون يعلمون انه ليس من اهل المنطق والبرهان ، وانه مغتر بقدرته بحيث ان اية كلمة حق لاتؤثر فيه، فانهم التزموا الصمت امامه ،ذلك الصمت الملي، بالمعاني والازدراء .

بعد ذلك مضت الايام حتى جاء يوم اتهمت فيه الحكومة هذا الوزير ،والقت القبض عليه واودعته السجن .

عندئذ خطر لاحد العلماء الذين حضروا ذلك المجلس ان الوقت قد حان لكي يستيقظ هذا الوزير ،بعد ان ترجل عن صهوة غروره ، وازيحت عن عينيه حجب الانانية ، وتنبهت فيه مشاعر تقبل الحق ، فقد تنفعه النصيحة . فطلب من المسؤولين السماح له بمقابلة الوزير ،فاذنوا له. واذ اقترب من زنزانته وجد انه وحيد فيها ،وهو يذرع ارض الغرفة جيئة وذهابا مفكراً ويهمهم ببضعة ابيات من الشعر ،مفادها :اننا اشبه برسم الاسد المرسوم على العلم ،فاذا هبت الريح تحرك العلم وبدا الاسد وكأنه يهجم،ولكنه في الحقيقة لايفعل شيئاً ،انما الريح هي التي تعطيه القدرة على الحركة ، فنحن مهما عظمت قدرتنا فاننا لانملك شيئاً في ذواتنا . ان الله الذى منحنا القدرة قادر على ان يسلبها منا وقتما يشاء .

لاحظ العالم ان الرجل فضلا عن كونه لاينكر وجود الله، فانه قد اصبح يعرفه حق المعرفة . فتقدم اليه ،وبعد تفقد احواله ، سأله قائلا : أتذكر يوم قلت ان عندك الف دليل على عدم وجود الله ؟ لقد جئت لادحض ادلتك الالف بدليل واحد : ان الله هوذلك الذي سلبك في لحظة واحدة كل تلك القدرة التي كانت لديك . فاطرق الرجل برأسه خجلاً ولم يقل شيئاً ، لانه كان معترفاً بخطئه بعد ان رأى نور الله في داخله .

يخاطب القرآن المجيد فرعون قائلا :

" حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا إلٰه
إلّا الذي آمنت به بنو اسرائيل ".

(سورة يونس ، الآية ٩٠)

* * *

فكر وأجب:

١ـ اكتب نتيجة هذه القصة في بضعة اسطر .

٢ـ لماذا سمي بنو اسرائيل ببني اسرائيل ؟

٣ـ من هو فرعون ؟ اين كان يعيش ؟ وماذا كان يدّعي ؟

الدرس السادس

الطريق الثانى لمعرفة الله

طريق من الخارج

بنظرة عابرة الى هذا العالم الذي نعيش فيه ، نـــدرك ان عالم الوجود هذا ليس فيه اضطراب و لاارتباك ،بل ان لجميع مظاهر الحياة خطاً معيناً تسير عليه ،فهي اشبه بجيش ضخم مقسم الـــى وحدات منظمة وتتحرك جميعاً نحو هدف معين ٠

النقاط التالية تزيل كل غموض عن هذا الموضوع :

١ـ لظهور كل كائن ولبقائه حياً في هذا العالم لابد مـــن تضافر عدد من الظروف والقوانين الخاصة لبلوغ ذلك الهـــدف ٠ فمثلا ،لكي تظهر شجرة الى عالم الوجود ، لابد من توفر ا لارض، والما» والهواء المناسب، والحرارة اللازمة ، لكي نزرع البذرة ، فتتغـذى، وتتنفس ،وتخضر وتنمو.فاذا لم تتوفر هذه ا لامور استحال ظهـــور النبتة ونموها الى شجرة ٠ ان تهيئة هذه الظروف والشروط تتطلب عقلاً ومعرفة ٠

٢ـ ان لكل كائن خصائص يختص بها دون غيره ٠ فان لكل من

الماء والنار خصائص لاتنفصل عنها وتتبع قوانين ثابتة .

٣- جميع اعضاء الكائن الحي تتعاون فيما بينها ،فجسم الانسان تعمل اعضاؤه ،بوعي اوبغير وعي ، بانسجام تام بعضها مع بعض . فاذا ماواجه الجسم خطراتأهبت الاعضاء للدفاع . ان هذا الترابط والانسجام في العمل دليل آخر على وجود النظام في عالم الوجود .

٤- ان نظرة واحدة الى العالم تكشف لنا ان الترابط والانسجام والتعاون في العمل ليست مقتصرة على اعضاء الجسم الواحد ، بل ان مختلف كائنات العالم تتعاون فيما بينها ،فلبقاء الكائنات تطلع الشمس،وينزل المطر ،وتهب الرياح،وتتضافر معها الارض ومنابعها لهذا الهدف . وهذا دليل وجود نظام معين يشمل عالم الوجود كله .

* * *

العلاقة بين «العقل» و«النظام»:

كل امرئ لابد ان يعترف في نفسه بان النظام حيثما ظهر كان دليلا على ان وراءه عقلاً مفكراً وتخطيطاً وهدفاً . فحيثما شاهد الانسان نظاماً ثابتاً وقوانين معينة ادرك ان هناك وراء ذلك مصدراً للعلم والقدرة ،وهو في هذا الادراك الوجداني ليس محتاجاً الى الاستدلال حاجة كبيرة .

انه يعرف ان انساناً امياً اعمى ليس قادراً على ان يضرب على الآلة الكاتبة مقالة اجتماعية جيدة اونقداً ادبياً ، مثلا ، أوإن

طفلا في الثانية من عمره لايمكن له بامرار قلمه على الورق عشوائياً ان يرسم لوحة جميلة قيمة . اننا اذا طالعنا انشاء جيداً اومقالة رائعة ادركنا فوراً ان خالقها انسان مثقف متميز بالذكاء والعقل. كذلك اذا شاهدنا في متحف لوحة جميلة جذابة لانشك لحظة في ان الذي رسمها كان فناناً ماهراً ،على الرغم من اننا لم نر ذلك الفنان بشخصه .

بناء على ذلك حيثما راينا جهازاً منظماً علمنا ان معه عقلا وذكاء . وكلما كان ذلك الجهاز اكبر وادق واروع كان العقل والعلم اللذين اوجداه اكبر واعظم كذلك .

لكي يثبتوا ان كل جهاز منظم يحتاج لوجوده الى مبدأ عقل وعلم ، يستفيدون احياناً من قانون (حساب الاحتمالات)المعروف في الرياضيات العالية ، فيبرهنون به ، مثلا ، على ان الشخص الأمي اذا اراد ان يكتب مقالة اوشعراً بمجرد الضغط عشوائياً على مفاتيح الآلة الكاتبة بصورة عفوية وتصادفية ، فان ذلك ، بحساب الاحتمالات ، يستغرق بلايين السنين ، بحيث لايكفي حتى عمر الكرة الارضية لانجاز ذلك، (للمزيد من التوضيح يمكن الرجوع الى كتاب " خالق العالم " او " في البحث عن الله ") .

* * *

يقول القرآن الكريم :

سنريهم آياتنا في الآفاق وفي انفسهم حتى يتبين لهم انه الحق اوَلم يكف بربك انه على كل شئ شهيد " .

(سورة فصلت ، الآية ٥٣)

* * *

فكر وأجب :

١- هات بعض الامثلة (غير التي ذكرت في الدرس) على اجهزة صناعية ندرك عند مشاهدتها ان ايجادها يستلزم وجود صانع عليم .

٢- ما الفرق بين " آفاق " و "أنفس" ؟ هات أمثلة على آيات الله في الآفاق وفي الأنفس .

الدرس السابع

نماذج من نظام الخلق

ان مظاهر " النظام " و" الغاية " و" التخطيط " واضحة في جميع ارجاء عالم الوجود.

هنا نورد لكم بعض الأمثلة الكبيرة والصغيرة :

انه لمن حسن الحظ ان نجد ان تقدم العلوم الطبيعية والكشف عن اسرار عالم الطبيعة وعجائبه ودقائق خلق الانسان والحيوان والنبات ، وبناء الخلية والذرة العجيب ،ونظام المنظومات الشمسية والنجوم المحير للعقول كلها قد فتحت ابواب معرفة الله امامنا بحيث نستطيع ان نقول بكل جرأة وثقة بان جميع كتب العلوم الطبيعية هي كتب في التوحيد ومعرفة الله، وانها تلقي علينا دروسا في عظمة الله الخالق ،وذلك لان هذه الكتب تزيح الستار عن نظام الخلق المدهش في هذا العالم،وتدلنا على مدى عظمة خالق هذا الكون وقدرته .

* * *

١ــ مقر قياده مملكة الجسم: ! :

تملأ جمجمتنا مادة رمادية اللون يطلق عليها اسم " الدماغ" . وهذا الدماغ يعتبر أهم اجهزة اجسامنا وأدقها ، لان وظيفته هي قيادة جميع قوى الجسم الاخرى وادارة شؤونها .

ولكي ندرك اهمية هذا المركز العظيم ، يحسن بنا ان ننقل اليكم هذا الخبر :

اوردت الصحف خبراً مفاده ان طالباً شاباً من شيراز قد اصيب في حادث سياقة في خوزستان بضربة على رأسه دون ان يصاب ظاهريا بمكروه آخر في جسمه وكانت اعضاؤه جميعا سالمة ، ولكن العجيب في امره انه نسي كل مايتعلق بماضي حياته . كان تفكيره سليما ،يدرك الاشياء ، ولكنه اذا رأى ابويه لم يعرفهما ،واذا قيل له ان هذه امك ، انتابه العجب . اخذوه الى بيته في شيراز ،وأروه ماكان قد صنعه بيديه من الاعمال اليدوية وعلقها على الجدران، وقالوا له انه هو الذي صنع كل هذه الاشياء بنفسه ، فكان يظهر العجب ويقول انه يراها لاول مرة في حياته .

تبين من ذلك ان الضربة التي اصابت دماغه قد اوقفت (الاسلاك) الخلايا التي تربط بين فكره وحافظته ،وكأن عطبا اصاب (الفيوز) الكهربائي في حافظته فغرقت في ظلام تام وأخفت ذكرياته كلها .

ولعل هذا (الفيوز) الذي اصابه العطب لايزيد حجمه على رأس الابرة ،ولكن لاحظ مدى تأثيره في حياته . من هنا يتضح لنا مقدار تعقيد جهاز الدماغ واهميته .

يتألف الدماغ والجهاز العصبي من قسمين متميزين :

١- مجموعة الأعصاب الارادية التي تسيطر على جميع فعالياتنا الاختيارية ،كالمشي ،والنظر ،والتكلم ، وغيرها .

٢ـ مجموعة الأعصاب غير الارادية التي تسطير على الحركات اللاإرادية ، مثل حركة القلب وتحرك المعدة وغيرهما ، فتدير اعمالها ،بحيث ان اصابة هذا الجانب من الدماغ بعطب يكفي لايقاف القلب اواى جهاز لاإرادي آخر عن العمل .

* * *

اعجب اقسام الدماغ

" المخ" هو مركز الذكاء والارادة ،والاحساس ،والحافظة. وعلى ذلك فهو من اشد اجهزة الدماغ حساسية ،واليه يعزى الكثير من ردود الفعل الانفعالية ، كالغضب والخوف وغيرهما .

لو ازيل مخ حيوان ما ، دون الاضرار باعصابه ،فان الحيوان يظل حياً ،ولكنه يفقد كل قدرة على الفهم والادراك . من ذلك انهم رفعوا مخ احد الطيور من دماغه ، فبقي حياً ،ولكنه لم يميز الحب الذى نثر امامه ولم يلتقط منه شيئاً بالرغم من جوعه واذا اطلقوه في الهواء كان يطير حتى يرتطم بحاجز فيقع .

الحافظة العجيبة:

من اقسام الدماغ العجيبة الاخرى هو الحافظة . هل خطر لكم مدى غرابة قوة الحافظة العجيبة ؟ وهل فكرتم كيف سيكون سوء حالنا لو اننا فقدنا حافظتنا ساعة واحدة ؟

مركز الحافظة ، الذي يشكل جزءاً صغيراً من الدماغ، يحتفظ بجميع ذكرياتنا ودقائقها طوال حياة الانسان . كل انسان نتعرف عليه تحتفظ حافظتنا له بجميع خصوصياته ،شكله ، لونه ،

ملابسه ، اخلاقه ، نفسيته وكل ماندركه منه ، فتعد له اضبارة خاصة به . فما ان نراه مرة اخرى حتى تقوم حافظتنا باستخراج الاضبارة الخاصة به وتلقي عليها نظرة شاملة ،وعندئذ يرشدنا فكرنا الى الطريقة التي يجب ان نعامل بها هذا الشخص وكيف يجب ان تكون ردود فعلنا معه .فاذا كان صديقاً احترمناه ،واذا كان عدواً تحاشيناه . وهذه الامور تجرى بسرعة مذهلة بحيث انك لاتكاد تحس بمرور اي فترة زمنية بين رؤيتك الشخص وظهور رد فعلك ازاءه .

ان غرابة هذه الحالة تتضح اكثر اذا ماشئنا ان نصور ما تحتفظ به ذاكرتنا على الورق اوان نسجله على اشرطة التسجيل لاشك اننا سنحتاج الى مقدار كبير من الورق اوا لاشرطة قد يملأ مخزناً كبيراً . والأعجب من ذلك هو اننا لاستخراج مصور اوشريط من بين ذلك الحشد نحتاج ان عدد كبير من الموظفين الموكلين بحفظها . غير ان ذاكرتنا تقوم بكل ذلك بسهولة وبكل سرعة .

* * *

الطبيعة غير العاقلة كيف تخلق العقل؟

لقد ألفت كتب كثيرة في عجائب الدماغ ،مما يمكن الرجوع الى قسم منها في الكتب المدرسية والجامعية . فهل يمكن ان نصدق بان هذا الجهاز المعقد الدقيق والرقيق والغامض قد صنعته طبيعة فاقدة للعقل؟بل اشد من ذلك حماقة هو ان نعتبر هذه الطبيعة العديمة العقل هي خالقة العقل !

يقول القرآن الكريم :

" ... وفي انفسكم أفلا تبصرون " .(سورة الذاريات،الآية ٢١) .

* * *

فكر وأجب

١ـ هل تعرف أمثلة اخرى على عجائب عمل دماغ الانسان؟

٢ـ ماالتدابير التي أوجدها الله تعالى للمحافظة على دماغ الانسان ازاء الحوادث المختلفة ؟

* * *

الدرس الثامن

عالم عجيب في طائر صغير

نريد في هذا الدرس ان نخرج من مملكة جسم الانسان الواسعة، التي لم نكتشف زقاقاً واحداً من مدنها السبع بعد، لنلقي نظرة على هذه الزاوية أوتلك لالتقاط بعض النماذج لنظام الكائنات العجيب.

نرمي ببصرنا في ليلة ظلماء الى السماء فيتراءى لنا طائر غريب بين طيات سجف الظلام كشبح غامض يطير جريئاً في كل اتجاه بحثا عن طعام يتغذى به .

هذا الطائر هو " الخفاش " الذي كل مافيه يدعو للدهشة والعجب ،واعجب مافيه هو طيرانه في الليل البهيم . ان حركة الخفاش السريعة في ظلام الليل بغير ان يرتطم باى حاجز من أعجب الامور التي تظهر فيه اسرار جديدة كلما تعمقنا في كشف اسراره القديمة .

يطير هذا الطائر في الظلام بسرعة ودقة قد لاتدانيهما سوعة الحمامة في رائعة النهار .ولاشك انه لولا وجود وسيلة يدرك

بها وجود الموانع في مسير طيرانه لصعب عليه الطيران بهذه السهولة.

لو اطلق الخفاش في نفق مظلم كثير الالتواءات والمنعطفات، وملوث بالسخام، لاستطاع ان يتفادى جميع المنعطفات بغير ان يصطدم باي منها او ان تعلق به ذرة من السخام.

ان هذه الخاصية العجيبة في الخفاش ناشئة من خاصية اشبه بخاصية الرادار.

فلابد هنا من معرفة شيء عن جهاز الرادار لكي ندرك وجوده في هذا الحيوان الصغير.

في بحث "الصوت" من علم الفيزياء نقرأ عن امواج ماوراء الصوت، وهي امواج اطوالها وتردداتها من الكثرة بحيث ان اذن الانسان ليست قادرة على سماعها، ولهذا السبب اطلق عليها اسم الامواج ماوراء الصوتية. فعند انبعاث هذه الامواج من مصدر مرسل قوي، ينتشر الى جميع الجهات، ولكنها ما ان تصطدم في الجو بمانع اوحاجز (مثل طائرات العدو او اي مانع آخر) تعود، مثل الكرة التي تصطدم بجدار فترتد، او مثل الصوت الذي نسمع صداه اذا اطلقناه بين الجبال اوامام جدار مرتفع وعلى مسافة معينة. ان الفترة التي تمضيها هذه الامواج في الارتداد تفيد في حساب بعد المانع او الحاجز بصورة دقيقة.

كثير من الطائرات والبواخر تهتدي الى طريقها بوساطة الرادار، فتتجه الى حيث تشاء، كما انها تستفيد من اجهزة الرادار لمعرفة مكان طائرات الاعداء وبواخرهم.

يقول العلماء ان في جسم هذا الطائر الصغير جهازا اشبه بجهاز الرادار. والدليل على ذلك هو اننا لو اطلقناه في غرفة مظلمة ووضعنا فيها المايكروفون الخاص بتحويل الامواج فوق الصوتية الى امواج صوتية قابلة للسمع، لامتلأت الغرفة باصوات

مؤذية للسمع، ويمكن حساب عدد الامواج التي تصدر من الخفاش وهي تبلغ من ٣٠ الى ٦٠ مرة في الثانية .

ولكن ترى أي جهاز في الخفاش يصدر هذه الامواج؟ أي ماهما جهاز الارسال والاستقبال في الخفاش ؟

يقول العلماء في الاجابة عن هذا السوال ان الخفاش يصدر هذه الامواج عن طريق عضلات حنجرته القوية ويخرجها من منخريه، واذناه الكبيرتان هما جهازا الاستقبال عند ارتداد الامواج اليه.

فالخفاش اذن مدين في جولاته الليلية لاذنيه . يقول عالم سوفيتي اسمه (ژورين) ان التجربة قد اثبتت انه اذا قطعت اذنا الخفاش لم يعد قادرا على تحاشي الارتطام بالموانع في الليل بينما لايتاثر طيرانه الليلي مطلقا اذا ازيلت عيناه أي ان الخفاش يرى باذنيه ، لابعينيه .اليس هذا عجيبا ؟ !

فلنتصور الآن : من الذي اوجد هذين الجهازين العجيبين المحيرين في جسم هذا الحيوان الصغير الحقير ؟ وكيف علمه استخدامهما والاستفادة منهما بحيث يستطيع ان يدرأ عن نفسه الكثير من الاخطار التي تصادفه في طيرانه الليلي ؟ اجل ترى من هو ؟

أتستطيع الطبيعة العمياء التي لاعقل لها ان تقوم بمثل هذا العمل ،فتخلق في هذا الحيوان ،بكل بساطة ، هذين الجهازين اللذين يبذل علماء العالم مبالغ طائلة لصنعهما ؟

يقول الامام علي (ع) في نهج البلاغة في كلام له مسهب على الخفاش وبديع خلقه :

" ... لاتمتنع من المضي فيه لغسق دُجُنَّتِهِ..
فسبحان البارئ لكل شيء على غير مثال ..."
(الخطبة رقم ١٥٥) .

فكر وأجب :

١ـ أتعرف معلومات أكثر عن الخفاش ؟

٢ـ أتعلم ان اجنحة الخفاش وطريقة ولادة الانثى صغارها، بل وحتى طريقة نومه تختلف عن الحيوانات الاخرى ، وانه طائر مختلف عن غيره تماماً ؟

* * *

الدرس التاسع

صديقان حميمان قديمان

من المستحسن ان تزوروا في احد ايام الربيع الدافئة البساتين والمزارع الخضر اليانعة . هنالك ستلاحظون مجموعات من الحشرات الصغيرة ،كالنحل ،والذباب الذهبي ،والفراشات، والبعوض ،وكلها تتطاير في اتجاهات مختلفة ،تنتقل من زهرة الى اخرى ومن غصن الى آخر .

انها منهمكة في حركاتها هذه حتى ليخيّل اليك ان قوة غامضة تقف على رأسها (مثل صاحب العمل مع عماله) لاتكف عن اصدار الأوامر إليها . ان ارجل بعضها واجنحتها تتلوث بالدقيق الاصفر على الزهور فتبدو كانها من العمال الذين يرتدون رداء العمل الاصفر وهم منشغلون باداء اعمالهم .

في الواقع انها تقوم باعمال مهمة فعلا ، ان اعمالها من الأهمية بحيث ان البروفسور (ليون برتن) يقول :

" قلما يعرف الناس انه لولا الحشرات لبقيت سلالنا خالية من الفواكه " .

ونحن نضيف الى قوله ذاك قولنا :

" ولفقدت بساتيننا ومزارعنا لعدة سنوات، ماكان لها من خضرة وطراوة " .

فالحشرات ، اذن ،هي التي تنمي الفواكه وتهيىء بذور الزهور .

لاشك انكم سوف تسألون : كيف ؟ والجواب . هو لأن اهم عمل حياتي في النبات ،وهوعمل " اللقاح " ، يتحقق بمعونة الحشرات . لعلكم تعلمون ان الأزهار ،كالكثير من الحيوانات، تنقسم الى الذكر والانثى ،ومالم يتم اتصال وتلقيح بينهما فلن تكون هناك بذرة ولاثمرة .

ولكن هل خطرلكم ان تفكروا في اقسام النبات المختلفة، التي لاتحس ولاتتحرك ، كيف ينجذب بعضها نحو بعض ،وكيف ان المسحوق الذكري ، الذى يمثل (حيامن) الرجل يتحد مع (البييضة) الانثوية في النبات كمقدمة للتزاوج ؟

هذه العملية في كثير من الحالات منوطة بالحشرات،وفي حالات اخرى منوطة بالرياح .

ولكن هذه العملية ليست بهذه البساطة التي تبدو لنا، فهذا الزواج المبارك الميمون الكثير الخيرات ،والذي يتم (بوساطة) الحشرات ، له تاريخ ومراسيم وتطورات طويلة مثيرة للعجب ، سوف نتناول هنا جانباً منها :

صديقان حميمان قديمان :

بعد كثير من البحوث والدراسات ،توصل علماء الطبيعة الى ان النباتات والازهارظهرت في النصف الثاني من العصر الجيولوجي الثاني . والعجيب ان تلك المرحلة شهدت ظهور الحشرات ايضا ، ومنذ ذلك اليوم وعلى امتداد تاريخ الخليقة الطويل استمرت النبتة والحشرة صديقتين حميمتين وفيتين،تكمل احداهما وجود

الاخرى .

فلكي تستاثر الزهرة بحب صديقتها الحشرة وتجتذبها نحوها و (تحلّي فمها) كما يقولون ، فإنها تختزن (رحيقا) عذبا ، طيب الطعم في داخلها . فعندما تقوم الحشرات بالتنقل من زهرة الى اخرى تمهيدا لعملية اللقاح ، تضع ارجلها في الزهرة وتدخلها ، فتُستقبل هناك برحيق حلو لذيذ الطعم بحيث ان الحشرة تنجذب اليه دون اختيار .

يرى بعض علماء النبات ان للون الزهرة ورائحتها دورا مهما في اجتذاب الحشرات اليها فقد اثبتت التجارب التي اجريت على النحل قدرة هذه الحشرة على تمييز الالوان والروائح .

في الحقيقة ان الأزهار هي التي تتزين وتتجمل من اجل الحشرات لكي تجلب انتباه الفراشات والنحل التي يعجبها اللون والرائحة والطعم ، فتستقبلها في احضانها وتهيىء الامور لعملية الزواج وتتناول طعام العرس ايضا .

ان (حلاوة) العرس هذه هي من افضل الطعام للحشرات ، وبخاصة النحل ، وبتراكمه يكثر العسل . فالحشرات عند حضورها حفلة العرس تأكل شيئا من طعام العرس ، وكالضيف الصغيق ، تاخذ بعضا من ذلك الطعام معها ايضا الى بيتها تختزنه فيه .

ان عهد الصداقة بين الزهرة والحشرة ، والقائم على تبادل المصالح المشتركة ، كان كذلك وسيبقى كذلك .

درس في التوحيد :

عندما يلاحظ الانسان هذه العلاقة العجيبة بين حياة الحشرات والأزهار ، يتساءل دون اختيار : ترى من الذي عقد عهد الحب والصداقة بين الأزهار والحشرات ؟

هذه الحلاوة الخاصة والرحيق اللذيذ ، وهذه الالوان الزاهية

المختلفة الجذابة ،وهذا العطر المبهج ، من ذا الذي وهبها الأزهار ؟ ومن ذا الذي هدى الحشرات اليها ، وجعلها تتذوقها ؟

من الذي اعطى لهذه الحشرات ،للفراشات، وللنحل، وللذباب الذهبي ،ارجلها اللطيفة الظريفة وجهزها بمايتيح لها ان تنقل لقاح الأزهار من مكان الى مكان ؟

لماذا يتجه النحل في فترة معينة الى نوع معين من الأزهار ؟ لماذا بدأ تاريخ حياة الحشرات والأزهار في وقت واحد في عالم الخلق ؟

أهناك من يمكن ان يصدق - مهما يكن معانداً لجوجاً - ان كل هذه الامور قد جرت على غير خطة موضوعة من قبل ؟ أيعقل ان يحدث كل هذا الذي يحير العقول بقوانين عشوائية تضعها طبيعة عمياء لاتدرك شيئاً ؟ كلا ، بالطبع !

يقول القرآن الكريم :

" وأوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللا " .

(سورة النحل، الآيتان ٦٨و٦٩)

* * *

فكر وأجب

١- مافائدة الرحيق الحلو في للأزهار وألوانها وعطرها ؟

٢- ماذا تعرف عن عجائب حياة النحل ؟

* * *

الدرس العاشر

العوالم الصغيرة جدا

بما اننا نعيش في عالم ملىء بعجائب الخليقة ونتربى بين مختلف مظاهرها ،فاننا كثيراً مانغفل عن ملاحظة هذه الكائنات العجيبة واهميتها . من ذلك مثلا :

١ـ تعيش حوالينا حيوانات وحشرات صغيرة جداً بحيث ان جسم بعضها قد لايتجاوز المليمتر الواحد اوا لاثنين ،ومع ذلك فهي كالحيوانات الكبيرة لها اطراف وعيون وآذان وحتى ادمغة وذكاء واعصاب واجهزة للهضم .

اذا وضعنا دماغ نملة تحت المجهر وتفحصنا بدقة بناءه المحير نجد انه مما يثير العجب حقاً . فهذا الدماغ الصغير يضم اقساما صفت متجاورة ،كل قسم منها يسيطر على جانب من جسم النملة ، وان ادنى تغيير في وضعيتها يصيب جانبا من جسم النملة بالشلل .

والعجيب في امر دماغ النملة ، الذي هو فعلا اصغر من رأس الدبوس ،يكمن فيه عالم من الذكاء والتمدن وجمال الذوق والفن ،

حتى ان فريقا من العلماء امضوا جانبا كبيرا من اعمارهم في دراسة حياة هذا الحيوان ، ودونوا في كتبهم الكثير من عجائب حياته .

ترى من ذا الذي أوجد كل هذا الذكاء والمهارة في هذا الحيوان الصغير ؟ أتكون هي الطبيعة التي لاتملك من الذكاء حتى بمقدار رأس الأبرة ؟

٢- فلننظر في عالم الذرة : اننا نعلم ان اصغر ما اكتشف حتى الآن في العالم هو الذرة واجزاؤها . ان الذرة هذه من الصغر بحيث ان اعظم المكبرات التي توصف بانها تكبر القشة لتبدو جبلا - تعجز عن رؤيتها .

اذا اردتم ان تعرفوا مقدار صغر الذرة ،يكفي ان تعلموا ان قطرة واحدة من الماء تحتوى على عدد من الذرات اكثر من جميع سكان الارض قاطبة . واذا اردنا ان نحسب عدد البروتونات في سانتيمتر واحد من سلك دقيق ،واستعنّا على ذلك بألف شخص يحسبون بحيث اننا نستطيع ان نفصل بروتوناً واحداً في كل ثانية ، لاستغرق حسابنا بين ٣٠ سنة و ٣٠٠ سنة (بحسب اختلاف ذرات كل مادة) ، على ان يستمر حسابنا ليلا ونهاراً دون انقطاع .

وا لآن بعد ان عرفنا ان في سانتيمتر واحد من سلك دقيق هذا العدد من البروتونات ،فكم تظن عدد الذرات في السماء وا لارض والماء والهواء والمجرات والمنظومة الشمسية ؟ أ لايتعب فكر ا لانسان من مجرد تصور ذلك ؟ أيستطيع احد ان يعرف عددها غير الذي خلقها ؟

* * *

الذرة درس في التوحيد

تعتبر دراسة الذرة من اهم الفروع العلمية في العصر

الحاضر ومن اشدها إثارة . ان هذا المخلوق الصغير يلقي علينا درساً في التوحيد ، اذ ان في عالم الذرة جوانب اربعة هي التي تثير الانتباه :

١ـ النظام الدقيق: لقد اكتشف حتى الآن اكثر من ١٠٠ عنصر يتدرج فيها عدد الالكترونات من الواحد حتى اكثر من ١٠٠ ، وهذا نظام دقيق لايمكن ان يكون وليد عوامل عديمة العقل .

٢ـ تعادل القوى : اننا نعلم ان قطبين كهربائيين مختلفين يتجاذبان . وعليه ، فان الالكترونات التي تحمل شحنة سالبة لابد ان تنجذب نحو النواة التي تحمل شحنة موجبة .

ومن جهة اخرى نعلم ان دوران الالكترونات حول النواة يوجد قوة طاردة عن المركز ، اي ان الالكترونات تحاول ، تحت هذه القوة الطاردة عن المركز ، ان تبتعد عن محيط النواة ، فتتحطم الذرة . وفي الوقت نفسه تريد القوة الجاذبة ان تجذب الالكترونات فتفني الذرة .

هنا لابد من ان ندرك الحساب الدقيق الذي بموجبه جرى تنظيم القوتين الجاذبة والطاردة في الذرة لكيلا تفلت الالكترونات من مدارها ، ولاتنجذب نحو النواة بل تبقى دائما في حالة تعادل وتوازن في حركتها الدائمة . فهل تستطيع الطبيعة العمياء ان توجد هذا التعادل والتوازن ؟

٣ـ كل في خط سيره : قلنا ان لبعض الذرات اكثر من الكترون واحد ولكنها لاتدور كلها في مدار واحد ، بل تدور في مدارات متعددة . ومنذ ملايين السنين تدور هذه الالكترونات في مدارات معينة ، وفواصل محددة ، وبسرعة معلومة ، بغير ان يكون هناك اي تضاد بينها .

فهل وضعها في مداراتها المعينة ودورانها المنظم المحير

عمل بسيط ؟

٤- طاقة الذرة العظيمة : للتعرف على الطاقة الهائلة الكامنه في الذرة يكفي ان نعرف مايلي :

في سنة ١٩٤٥ تمت تجربة في صحراء المكسيك الجرداء من كل ماء وزرع ، حيث فجرت قنبلة ذرية صغيرة جداً في برج فولاذي ، فذاب البرج ثم تحول الى بخار وظهر البرق مصحوباً بدوي مرعب ، وعندما جاء العلماء لم يجدوا اثراً للبرج .

وفي تلك السنة نفسها ألقت الولايات المتحدة الامريكية قنبلتين ذريتين صغيرتين على مدينتي (ناكازاكي) و(هيروشيما) اليابانيتين ، فابيد في الاولى سبعون الف انسان وجرح مثلهم ، وقتل في الثانية نحو ثلاثين اواربعين الفا وجرح مثلهم ، بحيث اضطرت اليابان الى الاستسلام لامريكا دون قيد اوشرط .

أفلا تكفي دراسة اسرار ذرة واحدة من الذرات لكي يتعرف الانسان على خالقها ؟ وعليه ، ان بالامكان القول بان لدينا بعدد ذرات الدنيا ادلة على وجود الله .

يقول القرآن الكريم :

"ولو ان مافي الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر مانفدت كلمات الله ".

(سورة لقمان : الآية ٢٧)

* * *

فكر و أجب :

١- أتعرف شيئاً آخر عن اسرار حياة النملة ؟

٢- أتستطيع ان ترسم على السبورة خارطة بناء الذرة ؟

* * *

بحث مكمل للدرس العاشر:

ما اعظم صفات الله!

صفاته :

كن على حذر ،فبقدر سهولة التعرف على وجود الله عن طريق التمعن في اسرار عالم الخليقة،لاتكون معرفة صفات الله بتلك السهولة نفسها ، بل تتطلب الدقة والحذر الشديدين .

وقد تسأل : لماذا ؟ الجواب واضح ، فالله تعالى لايشبه أي شيء مما رأينا وسمعنا،وعليه فان اول شرط في معرفة صفات الله هو نفي جميع صفات المخلوقات عن ذاته المقدسة : أي عدم تشبيهه باي كائن محدود في عالم الطبيعة ،وهذا مايجر القضية الى ممر ضيق، وذلك لاننا ترعرعنا في قلب هذه الطبيعة ،وكان ارتباطنا بها ، وأنسنا بها وألفناها ،ولهذا فاننا نميل الى ان نقارن كل شيء بما نراه فيها .

وبعبارة اخرى ،ان كل مارأيناه جسم وخصائص الجسم، اى الاشياء التي لها " زمان " و" مكان " و" اشكال " معينة.وعلى هذا يكون من الصعب جدا ان نصف الله الذي لايحده مكان ولازمان، وهو في الوقت نفسه محيط بكل زمان ومكان ،ولاتحده حدود . انه امر يتطلب الكثير من الحذر والدقة .

مبدئياً لابدمن القول باننا لن نعرف حقيقة كنه الله،

ولاينبغي لنا ان نتوقع ذلك من انفسنا ، لان توقعنا شيئاً كهذا يكون اشبه بمحاولة سكب مياه محيط عظيم في اناء صغير بحيث يسعها ، اوالقول بان جنيناً في بطن امه يمكن ان يعرف كل شيء موجود في العالم الخارجي . أهذا امر ممكن ؟

لذلك فان اصغر زلل في هذا المجال يمكن ان يبعدا الانسان مسافات طويلة عن الطريق الصحيح لمعرفة الله ويرمي به في متاهة عبادة الاوثان والمخلوقات . على كل حال ،ينبغي ان نكون على حذر لئلا نقارن صفات الله بصفات المخلوقات ابدا .

صفات «الجمال» و«الجلال»

تقسم صفات الله عادة الى قسمين : " الصفات الثبوتية" أي الصفات الموجودة في ذات الله ،و" الصفات السلبية"أي الصفات التي يتنزه عنها الله سبحانه وتعالى .

وقد يسأل سائل : ترى ماهي صفات ذات الله ؟

الجواب هو ان صفات الله تكون من جهة لانهاية لها وغير محدودة ،ويمكن من جهة اخرى تلخيصها في صفة واحدة،اذ ان جميع صفاته الثبوتية تتلخص في التعبير التالي :

" ذات الله لامتناهية من جميع الجهات ولها الكمالات كلها " .

كما ان صفاته السلبية تتلخص في الجملة التالية :

" ذات الله لايعتورها النقص من جميع الجهات" .

ولكن بما ان للكمال والنقص درجات ،اى يمكن تصور الكمال اللامتناهي والنقص اللامتناهي ،اذن يمكن القول بان لله صفات

ثبوتية لانهاية لها، وله صفات سلبية لانهاية لها ،اذ مامن صفة كمال نتصورها الاوهي في الله ،ومامن صفة نقص نتصورها الا والله منزه عنها . اذن ،صفات الله الثبوتية والسلبية لاحد لها .

أشهر صفات الله :

اشهر صفات الله ثمان ، وهي كما يلي :

١- " هو العالم" ، فالله عالم بكل شيء.

٢- " هو القادر " فهو قادر على كل شيء.

٣- " هو الحي "، فالحي هو كل عالم وقادر ، وبما ان الله عالم وقادر ، فهو حيّ .

٤- " هو المريد" أي انه صاحب ارادة وليس في اعماله مجبرا على شيء، وكل مايفعله انما لحكمة ولغاية فما من شيء في الارض ولا في السماء ،صغير أكان ام كبيراً إلاّ وكان عن فلسفة وهدف .

٥- " هو المدرك" أي انه يدرك جميع الاشياء، يسمع كل شيء، ويرى كل شيء، وهو عليم بكل شيء خبير .

٦- هو القديم الازلي "، أي انه كان دائما ، وليس لوجوده بداية ولانهاية ،اذ ان وجوده ينبع من ذاته ،ولهذا فهو ازلي سرمدي ،فمن يكون وجوده من ذاته لايعتوره الفناء ولا الزوال .

٧- " هو المتكلم " أي انه قادر على احداث موجات صوتية ،فيكلم الانبياء ،وليس معنى هذا ان له سبحانه لسانا وشفتين وحنجرة .

٨- " هو الصادق " فما يقوله هو الصدق عينه

والحقيقة ذاتها ، لان الكذب يكون إمّا بسبب الجهل وإمّا بسبب الضعف ، فالله القادر العليم لايمكن ان يكذب

* * * *

اما صفاته السلبية، فاهمها سبع صفات:

١ـ ليس " مركبًا " أي انه لايتألف من اجزاء تركيبية ، فلو كان كذلك لاحتاج الى اجزائه ،وهو الغني غير المحتاج .

٢ـ ليس " جسما " ، لان للجسم حدوداويكون متغيرا وفانيا .

٣ـ ليس " مرئيا "فهو لايُرى ،وإلّاكان جسما محدودا وفانيا ..

٤ـ ليس له " مكان " ، لانه ليس جسما ليحتاج الى مكان .

٥ـ ليس له " شريك " اذ لو كان له شريك لكان محدودا ،لان كائنين غيرمحدودين يستحيل وجودهما معا ، ثم ان وحدة قوانين الطبيعة دليل على وحدانيته.

٦ـ ليس لله"معان"لان صفاته هي ذاته عينها.

٧ـ ليس"محتاجا "بل هو الغني، لان الكائن اللامتناهي من حيث العلم والقدرة لاينقصه شيء.

يقول القرآن الكريم :

" ليس كمثله شيء " . (سورة الشورى ،الاية ١١) .

* * *

فكر وأجب :

١ـ ألديك ادلة اخرى على وحدانية اللّه وانه لاشريك له ؟

٢ـ هل سمعت بوجود بعض الاديان التي تؤمن بثلاثة آلهة، واخرى تومن بإلهين ؟ ماهي ؟ .

الفهرست

الموضوع	الصفحة
مقدمة الناشر	٥
الدرس الاول	
معرفة اللّه	٧
الدرس الثاني	
معرفة اللّه وتقدم العلوم	١١
معرفة اللّه والسعي والامل	١٢
معرفة اللّه والشعور بالمسؤولية	١٣
معرفة اللّه والاطمئنان	١٣
الدرس الثالث	
معرفة اللّه بطريقين مؤكدين	١٥
طريق من الداخل	١٦

الدرس الرابع

جواب سؤال مهم ١٩

الدرس الخامس

قصة واقعية ٢٥

الدرس السادس

طريق من الخارج ٢٩

العلاقة بين " العقل " و" النظام " ٣٠

الدرس السابع

نماذج من نظام الخلق ٣٣

مقر قياده مملكة الجسم ٣٤

اعجب اقسام الدماغ ٣٥

الحافظة العجيبة ٣٥

الطبيعة غير العاقلة كيف تخلق العقل ٣٦

الدرس الثامن

عالم عجيب في طائر صغير ٣٩

الدرس التاسع

صديقيان حميمان قديمان ٤٣

الدرس العاشر

العوالم الصغيره جدا ٤٧

الذرة درس في التوحيد ٤٨

بحث مكمل للدرس العاشر ماأعظم صفات اللّه

صفاته ٥١

صفات " الجمال " و " الجلال " ٥٢

اشهر صفات اللّه ٥٣

صفاته السلبية ٥٤

9088

صندوق البريد ١٣٦١ ـ ١٥٨١٥
ايران ـ طهران

VETVS &
NOVVM
TESTA-
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

Princeton University Library
32101 088635279

AP